

الحديث ذو شجون للدكتور زكي مبارك

حياة أسيوط — الدفع مقدماً . . . — بلادة
أديبة ١ — المارك القلبية في مصر — الطبيعة والناس

مباشرة أسيوط

كان من المنتظر أن يتأذى قومٌ من الكلمة التي كتبها عن أسيوط ، وفي دفع تلك الكلمة تلقيت خطابين كريمين ، أحدهما من الأستاذ أحمد فتحي القاضى الحامى ، والثانية من الآنسة « ليلي » فاذا أقول في مناقشة هذين الخطابين ؟

أذكر أولاً أن لى غاية من التجنى على أسيوط ، فأنا أريد التنبيه إلى أن هذه المدينة لا تأخذ حظها من الاهتمام الواجب لمدينة في مثل مكانها التاريخية . وأنا أريد أيضاً تأييد الرأى الذى يقول بإنشاء جامعة في أسيوط لتسترد المدينة حيويتها العلمية والأدبية . وهل ينكر أحدٌ أن من واجب الكاتب الوطنى أن يدعو قومه إلى المبادرة بتزويد الحواضر الكبيرة بأزواد العلوم والآداب والفنون ؟

إن أكابر أسيوط بهجرونها طائمين ، رغبة في الحياة القاهرية ، حياة السيطرة على المجتمع السياسى ، وأنا أحب أن تعيش المصيبات الإقليمية على نحو ما كانت عليه قبل سنين ، وأتمنى أن يرى الرجل في بلده من قوة الذاتية ما يفريه بالزهد في موت القاهرة المصنّاب

وتقول الآنسة « ليلي » إني لو درست حياة أسيوط بعناية لأدركت أنها أعظم من سنترس . وأقول إن البلاد تحيا بحب أهلها ، وأنا أحب بلدى بأكثر مما يحب الأسيوطيون بلدهم الجميل حدثني أحد أساتذة الكلية الأمريكية بأسيوط قال : إن الكلية دعت معالى الأستاذ نجيب باشا الهلالى ليكون خطيب الحفلة الختامية في هذه السنة فتفضل بالقبول ثم اعتذر بعد ذلك

قلت : الكلية لم ترع ظروف الخطيب ، فإن الهلالى باشا نفسه حدثني أنه لم يزد أسيوط منذ عشر سنين ، ومن المؤكد

أن هذه المدة الطويلة صيرت فيها مناسبات تفرض عليه زيارة وطنه الأول ، مناسبات عائلية في الأفراح أو الأتراح ، فكان يكتبني بالبرقيات في التهنة أو العزاء ، فن السير عليه أن يمود في مناسبة وقتية لإلقاء خطاب يستطيع إرساله بالبريد إن أراد وأعجب ما في هذه القضية أن للهلالى باشا مصالح في أسيوط تعطلت بسبب انصرافه عن زيارة تلك المدينة ، فله دار نفيسة تعرضت للتصدع بسبب هذا الانصراف

قلت لصاحبي وأنا أحاوره : هل تعرف أن للديار أرواحاً يؤذيها الجفاء ؟

فقال : المعروف أن الديار مجموعة أحجار وأخشاب ، فعلى جمادات لا تتأثر بالهجران

قلت : هذا وهمٌ في وهم ، فالديار تتأذى بالهجر كما يتأذى الأحباب ، وليس في الوجود كائنٌ بلا روح ، ولو كان في الاصطلاح من الجماد

يستطيع الهلالى باشا أن يعترف لداره بالشواغل التي تصده عن زيارة أسيوط ، ولكن لى رأياً آخر ، هو أن نجعل زيارة دورنا بالأقاليم النائية من شواغلنا الأساسية ، فلتلك الديار حقوق ، وهى أيضاً من ضمائر الوطن الغالى

وبماذا يجب الهلالى باشا لو دعوته إلى بناء دار بأم درمان أو الخرطوم ؟

لو التفت هذه الالتفاتة لكان من السهل عليه أن يخلق لمصر صداقات جديدة في السودان

بإحدى المحاضرات الافتتاحية في الكولاليج دى فرانس ألقى علينا السيو ماسينيون محاضرة عن مشاهداته في إيران ، وبعد المحاضرة سألته عن السبب في كثرة أسفاره إلى إيران ، فأجاب : ألا تعرف أن لى داراً هناك ؟

وفي مقابل هذا أذكر أن كبيراً من كبارنا باع أملاكه في بلده لتكون ثروته في القاهرة ، عساه يشرف عليها بلا عناء ومع هذا يباب على أن أقول إن أكابر أسيوط بهجرون أسيوطاً يجب أن تقول وتقول ثم تقول بأن الإقبال على الحياة القاهرية سيؤذى الأقاليم المصرية أشد الإيذاء

هنا مع أن النهر يرشدنا إلى الواجب في كل لحظة باختياره

هو الرجل الأول في المديرية ، ولا يكون مثل هذا الحفظ لمثل
وزارة المعارف ؟

نحن إخوة ، فكيف نفرق في الواجبات ولم نفرق في الحقوق ؟
ما الذي يمنع من إعطاء مدير التعليم فرصة الإصلاح الممنوحة
لمدير المديرية ؟

أنا أوجه القول إلى وزير المعارف ، وأسأله برفق عن تعطيل
مواهب رجال التعليم في الأقاليم ، وفي مقدورهم أن يخدموا
الإصلاح خدمات عظيمة ؟

لقد اقترحت أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول ،
ليكون المعلم هو الرجل الأول ، فهل كنت في هذا الاقتراح
من السرفين ؟

إن كان ذلك فأنا أطالب معالي وزير الأشغال بأتماني ، وقد
وجهت إليه كلاماً عن « نفق شبرا » يستحق أوفاً من الجنيحات
فليدفع الأتباع قبل أن أقاضيه بمحكمة مصر الجديدة ... وهل
في مصر الجديدة محكمة أهلية ؟

هذا إشكال جديد ، وسأخصص فيه وزير العدل بعد حين
ثم ماذا ؟ ثم يبقى القول في رد ما جاء بالخطابين الكريمين ،
خطاب ابن منفلوط ، وخطاب بنت أسيوط ، فإلى اللقاء !

الرفع مفعلاً ... !

من العبارات المألوفة في البيع والشراء عبارات : الدفع
مقدماً ، والدفع فوراً ، والدفع بالتقسيط

والفهم أن الدفع مقدماً أدل على النفاسة من الدفع فوراً ،
أما العبارة الثالثة فهي شاهدة بهوان المروض . وكل معروض مهان
ولكن ما الرأي إذا كان التقسيط من تطف البائع ،
لا من هوان المبيع ؟

ما الرأي إذا كانت السلعة المبذولة غنيمة وجدانية لا تقوم
بالل ، وإنما تقوم بمصيدة أو مقالة تؤخذ أقيامها من لبيب الروح ؟
ألا يكفي أن تصبح ذمة الكاتب والشاعر في غنى عن الضمان ؟
سأرى كيف أصنع في سداد الديون بالتقسيط . ولعلني
أسارع ليكون من حتى أن أطمع في غنائم جديدة من فنانم
الوجدان ، في الدبنة التي قال فيها أحد الشعراء :

ولا يجب فيها غير أن نسبها يريد سمي القلب وقباً إلى وقد

الموفق لأطايب البقاع ، ولو سائرنا النيل في هواء لكان عندنا
مئات من شجر البلاد

وهل ننسى أننا لم ننشئ مدينة جميلة في « القناطر الخيرية »
وهي بقعة لا نظير لها في أي أرض ؟

وقطار الإسكندرية يمر بنا على مدينة اسمها « كفر الزيات »
على موقع من أجمل مواقع النيل ، فأتلك المدينة ؟ ومتى تخطر
في البال ؟

والنيل بين زفتي وميت غمر على جانب العفانة الطبيعية
والجمال الأصيل ، فأين من فكر في الاستغلال بتلك العظيمة
وذلك الجمال ؟

إن الحمام والمصايف تعرف من سرائر بلادنا ما لا تعرف
ألم أحدثكم مرة أن لها مغاني في أكثر البقاع المصرية ؟

لكل مكان في مصر روح وأرواح ، وبلادنا نشأت أول
ما نشأت على فطرة الاستقلال ، فقد كان لكل قطر من أقطار
مصر سيادة محلية ، وكان بكل قطر من أقطار مصر سادة يتعاملون
باسم الشرف والجلود ، فكيف نحول هذه القوى إلى بقعة واحدة
هي البقعة القاهرية ؟

هل نتمزج بأن يقال إن القاهرة أعظم مدينة في الشرق
ونحن نعرف أنها تجني على الحواضر المصرية بغير حق ، كما تجني
أسيوط على منفلوط ؟

وهنا يجيء حديث الناطق في وزارة المعارف ، وقد سمعت
أن نظام الناطق في طريق الإلغاء

وأقول بصراحة إن أول وزارة عرفت نظام الناطق هي وزارة
الداخلية ، وهي لا تستطيع التخلي عنه بأي حال ، لأنه أفضل
الأنظمة في صيانة الحياة الداخلية ، ولأن المشرفين عليه كانوا
السبب في تنظيم حواضر البلاد

وإذا استطاعت وزارة المعارف أن تمنح ممثليها بالأقاليم قوة
تشبه القوة الممنوحة لممثل وزارة الداخلية فستظفر الأقاليم
بإصلاحات قائمة على أساس الفهم والدوق ، وقد تفك الحصار
المضروب على رجال التعليم ، وهم رجال عوقهم الظروف عن تحقيق
ما يريدون في إصلاح الأقاليم

هل يعرف أحد كيف يجوز أن يكون ممثل وزارة الداخلية

بمودة أدبية

الطبيعة والناس

هي بلاد الأدباء الذين يسألون من وقت إلى وقت عن السبب في خمود نار الخصومة بيني وبين الدكتور طه حسين . وإنى لأنظر فأرى لهم غاية من تاريت تلك الخصومة ، لأنها تشقى صدوراً بمعجز أحبابها عن الوقوف موقف الخصماء .

إن خصومتى للدكتور طه حسين خصومة أدبية لا شخصية ، وسأخاطبه كلما لاحت فرصة لنقد ما يصدر عن قلمه من آراء ، وهو لا يزال في الميدان فليس من البعيد أن أرجع إليه بعد أسبوع أو أسابيع .

المهم هو تسجيل هذه الظاهرة الغريبة ، ظاهرة البلادة الأدبية عند بعض الأدباء البهايل ، فإلى الذى يصدم عن نقد الدكتور طه بأقلامهم إن كانوا يرون في مذهبه الأدبى شيئاً من الاعوجاج ؟

إن الذين يتوهمون أن في مقدورهم أن يثيرون على الدكتور طه حسين بمثل ما توسل به أحدهم من التمام لى ضلال ، فما يستطيع قلمى أن يصلح بنير الحق ، ولو في مناوشة أعدى أعدائى ، على فرض أن الدكتور طه من الأعداء ، وله في قلبى مكان

المعارك الفلمية في مصر

لخصت مجلة الصباح الدمشقية ما دار بيني وبين الأستاذ عباس العقاد من صيال ، ثم قالت :

« هذا نمط من المارك القلمية التى تثور في مصر اليوم ، ويمثل هذا النقد اللاذع يتراشقون »

والجواب حاضر ، فمناوشة الأدباء المصريين بعضهم لبعض لا تنفص من النهضة الأدبية في الديار المصرية ، وإنما هي شاهد صادق على حيوية الأدباء المصريين

قلت مرة ومرات : إننا نختلف أقل مما يجب ، وبأبنا إذا لم نختلف !

فإن شاء رفاقنا في دمشق أن يمدوا الاختلاف من عيوبنا فهم مخطئون

ألم أقل لكم : إن السلام ضرب من الموت ؟

في اللحظات التى يتخزج فيها برد الشتاء من وضع إلى وضع تبدأ الطبيعة بإعداد الخلائق الجديدة في عوالم الشجر والنبات والطيور والحيوان والأمر كذلك في حياة الناس ... ألم تسمعوا بهجوم الربيع في دنيا الحرب ؟

كان ذلك لأن الربيع يوقظ القوى الغافية ، قوى الحب والبغض ، والصلح والقتال

أكتب هذا وقد سمعت ما سمعت وقرأت ما قرأت من أخبار العراك في مجلس النواب . فما دلالة هذا العراك ؟ وهل يحبط من أقدارنا في أنظار أهل الشرق والغرب ، كما قيل ؟

الرأى عندى أن مصر غنمت بهذا العراك غنائم لم تكن تخطر في البال ، فقد ظهر جليلاً أن عندنا خطباء من الطراز الأول في اللغة العربية ، وظهر جليلاً أن عندنا رجالاً من أصحاب الأعصاب الحديدية . وهل من القليل أن يكون عندنا وزراء يقضون نهارهم في مكاتبتهم على خير حال من النشاط ، ثم يقضون صدر الليل في مصاولات برلمانية تقل الحديد ؟

ماذا يقول الجيل المقبل حين يرى مضابط البرلمان ؟ ماذا يقول كل ما أعتاه أن تدوم هذه اليقظة العقلية والروحانية على نحو ما رأينا من القوة والحيوية ، ليعرف الجيل المقبل أن آباءه كانوا أحماء في الأرواح والعقول ، وأنه جدير بأن يخلفهم في ميادين المنطق والفكر والبيان

أظهر ما عيبت به تلك المصاولات هو صدور ألفاظ نابية على السنة بعض النواب ، فهل تفردنا بخلق تلك الألفاظ ، ولها نظائر في جميع اللغات ؟ وهل كان مجلس النواب مجلس سكر لا يدور فيه غير مصقول الأحاديث ؟

إن خصوم الحكومة قالوا فيها ما قالوا ، وقالت فيهم ما قالت ، وعرف الجمهور عن طريق الملائمة كل شئ ، ورغم قيام الأحكام العرفية

إن موقفى موقف المؤرخ لمهد من عهدنا الأدبية في البلاغة البرلمانية ، وهى بلاغة وصلت إلى غاية من أرفع غايات البيان ، وشهدت بأن للفكر في مصر أقطاباً وأساطين .

نكم مبارك